هـ) الطبيعة لا تكترث بالإنسان ولا بخصوصيته، أو تميُّزه، أو أفراحه، أو أتراحه، أو غاياته، أو حضارته، أو تاريخه، فالإنسان إن هو إلا جزء لا يتجزأ منها يُرَدُّ إليها. وكما قال الدهريون ـ كما حكى عنهم القرآن الكريم ـ: (إن هي إلا حياتُنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)! فما هي إلا أرحامٌ تَدفع وأرضٌ تبلع!

و) لكل هذا يمكن القول بأن الطبيعة علة ذاتها، ومكتفية بذاتها، وتُدرك بذاتها، وأنها مستوى الواقع الوحيد، ولا يوجد أي شيء وراءها متجاوزاً لها، وبالتالي فالإنسان نفسه يمكن تفسيره بالعودة إلى قوانين الطبيعة.

وإذا ما دققنا النظر وجدنا أن الصفات السابقة هي في واقع الأمر أهم صفات المادة (بالمعنى الفلسفي)، فالنموذج الفلسفي الكامن وراء التعريف السابق للطبيعة هو «النموذج المادي». ومن هنا إشارتنا إلى «الطبيعة» بأنها «الطبيعة/ المادة»، وإلى «القانون الطبيعي» باعتباره «القانون الطبيعي/ المادي». ويلاحظ أن الطبيعة حسب هذا التعريف الفلسفي نظام واحديٌّ مغلق، لا يعرف التعددية أو الثنائيات أو الانقطاع.

الإنسان الطبيعي:

ولنتقدم خطوة إلى الأمام لنميِّز بين الإنسان الطبيعي وما نسميه «الإنسان الإنسان» أو «الإنسان الرباني». و«الإنسان الطبيعي» هو الإنسان الطبيعي/ المادي، وهو ظاهرة طبيعية وليس ظاهرة تاريخية حضارية متميِّزة. ويُعرَّف هذا الإنسان في إطار مقولات طبيعية/ مادية: وظائفه البيولوجية (الهضم ـ التناسل ـ اللذة الجنسية)، ودوافعه الغريزية المادية (الرغبة في البقاء المادي ـ القوة والضعف ـ الرغبة في الثروة)، والمثيرات العصبية المباشرة (البيئة المادية ـ غدده ـ جهازه العصبي). فهو يعيش حسب قوانين الطبيعة/ المادة، ملتحم عضوياً بها، لا توجد مسافه بينه وبينها، يسري عليه ما يسري على الظواهر الطبيعية من قوانين، يخضع لحتميات القانون